المحاضرة الأولى

مفهوم النحو وقيمته العلمية

- **مقدمة:** يعتبر علم النحو عمدة علوم اللغة العربية[1]، وقد كان سبب نشأته هو تسرب اللحن إلى الكلام العربي، وإلى القرآن الكريم تحديداً. واللحن هو الخطأ في ضبط أواخر الكلمات؛ ومنه ينتج بالضرورة خطأ في المعنى قد يصل إلى حد التناقض، واللامعقول. ويرجع الباحثون سبب ظهور النحو إلى حادثة سماع عمر بن الخطاب أحدهم يقرأ قوله تعالى:﴿**أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾(التوبة:3)، بكسر لام كلمة "رسولِه"، فقال لأصحابه: أرشدوا أخاكم فقد ضلّ. وهنا واضح أنّ المعنى ينقلب تماماً إلى غير ما قصدته الآية.

وقد قيل غير ذلك من الآراء في سبب نشأة النحو[2]، تتفق كلها في أنّ ظهور اللحن هو السبب الأصلي الذي دعا إلى وضع شيء يعصم الألسنة من مثل هذه الأخطاء في قراءة القرآن على وجه التحديد. هذا العلم الذي اصطلح عليه فيما بعد باسم "علم النحو". وبقي كذلك إلى أيامنا هذه؛ وهو العلم الذي يُعرَف به أحوال أواخر الكلمات إعراباً وبناءً. وقد اقتُصر على أواخر الكلمات لأنها هي التي تدل على وظيفة الكلمات حين تكون مرتبة في سياقات مختلفة.

وفي تعريفه يقول أبو حيان الأندلسي:« قال صاحب "المستوفي": "النحو صناعة علمية ينظر بها صاحبها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم ليعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى، فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى"»[3].

- **الإعراب والبناء:** يتكرر هذان المصطلحان في النحو العربي للدلالة على أنّ بعض الكلمات لا تتغيّر حركة الحرف الخير فيها، أي تلزم صورة واحدة حيثما وقعت في الجملة، والكلمات الأخرى تتغير حركة حرفها الأخير؛ من ضم، إلى فتح، إلى كسر؛ بحسب موقعها في الجملة ووظيفها فيها. فالأولى أطلق عليها اسم الكلمات المبنية، والثانية سمُّيت بالكلمات المعربة.

- **مفهوم الإعراب:** من حيث الدلالة اللغوية يعني الإبانة والإفصاح وإزالة الغموض والإبهام واللبس في الجملة، وذلك عن طريق إظهار الحركات على أواخر الكلمات. فلو قلنا: ما أحسن خالد؛ ولم نظهر حركة النون في كلمة "أحسن"، ولا حركة الدال في كلمة "خالد" لما فهمنا المقصود بدقة، لأنّ هذه الجملة قد تكون تعجباً، أو استفهاماً أو نفياً. ولا يتضح ذلك إلا من خلال إظهار الحركات كما يلي:

---

[1] - ينظر على سبيل المثال ما قاله عباس حسن في كتابه "النحو الوافي"، ج1، ص1.

[2] - وكان يدعى في البداية "علم العربية ". ينظر ذلك في كتاب السيوطي، سبب وضع علم العربية، تح: مروان العطية، دار الهجرة - بيروت/ دمشق، ط1، 1409هـ/ 1988م، ص 30 وما بعدها.

[3] - أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداوي، دار القلم - دمشق (من 1 إلى 5)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، ط1، د ت، ص14.

- ما أحسنَ خالدٌ؛ أي لم يحسن في سلوكه الذي قام به، وهذا أسلوب نفي.
- ما أحسنَ خالداً؛ أي يا له من شخص حسن! وهذا أسلوب تعجّب.
- ما أحسنُ خالدٍ: أي ما الشيء الأحسن فيه؟ وهذا أسلوب استفهام.

ومن حيث الاصطلاح يعرّفه باحث معاصر قائلاً:« فالإعراب: هو تَغَيُّر العلامة التى فى آخر اللفظ، بسبب تغير العوامل الداخلة عليه، وما يقتضيه كل عامل. وفائدته: أنه رمز إلى معْنى معين دون غيره - كالفاعلية، والمفعولية، وغيرهما - ولولاه لاختلطت المعانى، والْتَبسَت، ولم يفترق بعضها عن بعض. وهو- مع هذه المزية الكبرى - موجَز غاية الإيجاز »[1].

فإذا قلنا: أفْهَمَ محمدٌ علياً المسألةَ. جاز أن نقول: أفهمَ علياً محمدٌ المسألةَ؛ بتغيير موضع الفاعل والمفعول به، والمعنى يبقى كما هو. أما إذا غيّرنا حركة كل من "محمد" و"علي" انقلب المعنى حتى إن لم نغيّر موضعهما في الجملة. كأن نقول: أفْهَمَ محمداً عليٌّ المسألةَ. وفي هذا إيجاز وتصرف في المعنى.

- **مفهوم البناء:** يعرّف بأنه« لزوم آخر اللفظ علامة واحدة فى كل أحواله، مهما تغيرت العوامل »[2]. ويعرّفه الغلاييني قائلاً:« والبناءُ لزوم آخرِ الكلمة حالةً واحدة، وإن اختلفت العواملُ التي تسبِقها، فلا تُؤثر فيها العوامل المختلفة »[3]. وسواء في ذلك أكانت الحركة واحدة ظاهرة مثل: اللذينَ، ذلكَ، حيثُ، حذارِ... أو كانت مقدرة غير ظاهرة مثل: هذا، اللواتي، المصطفى...

- **تعريف الجملة:** يدرس علم الصرف الكلمة، بينما يدرس علم النحو الجملة. وقد وردت عدة تعريفات لمفهوم الجملة، واختلف الدارسون في مسألة الإفادة على الخصوص؛ أي: أتحمل الجملة معنى مفيداً أم أنّ ذلك ليس ضرورياً؟ جاء في مؤلّف شرح كتاب الحدود في النحو، للفاكهي:«{فحدّها: القول المركّب} الإسنادى، أفاد أم لم يُفد. إما:
- {من الفعل مع فاعله} الظاهر أو المضمر: كقام زيد، وقم.
- {أو} من {المبتدأ مع خبره}: كزيد قائم.
- {أو} من {ما نزل منزلة أحدهما}، أي منزلة الفعل مع فاعله، أو المبتدأ مع خبره »[4]. ويقول السيوطي:« وَالجُمْلَة قيل تُرادف الكَلَام وَالأَصَح أَعم لعدم شَرط الإفادة »[5]. ومعنى قوله هذا أنّ الجملة أعمّ من الكلام، لأنّه لا يشترط فيها إفادة معنى، وإن كان بعض النحاة يعتبرهما مترادفين.

ومعنى هذا التعريف أنّ حدّ الجملة في النحو العربي هو حصول الإسناد؛ أي فعل مسند إلى فاعله، أو خبر مسند إلى مبتدأ، أو ما يقوم مقامهما. ومن ثَمّ فقد نجد جملة فيها مسند ومسند إليه، وتحمل معنى مستقلاً يحسن السكوت عليه، كما نجد جملة قد لا تحمل معنى. فصلة الموصول وحدها منفصلة عن اسم الموصول وما قبله لا تؤدي

---

[1] - عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص74.

[2] - المرجع نفسه، ص 75.

[3] - الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص 18.

[4] - عبد الله بن أحمد الفاكهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط2، 1414 هـ - 1993 م، ص 64.

[5] - السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، ج1، ص 55.

معنى كاملاً، ولكنها من حيث الإسناد هي جملة كاملة، كأن نقول: حضر الذي انتظرناه. فجملة "انتظرناه" جملة تامة الإسناد، فيها فعل وفاعل ومفعول به، ولكنها غير تامة المعنى إذا اجتزأناها من سياقها. ومن ثمّ، فإنّ الإعراب في العربية يقوم على بيان وظيفة الكلمة في التركيب، ووظيفة الجملة في التركيب أيضاً، سواء أكانت هذه الجملة طويلة أم قصيرة، ذات معنى أم غير ذات معنى. ولذلك يقال: جملة لها محل من الإعراب، وجملة لا محل لها من الإعراب.

فمن الجمل التي لها محل من الإعراب قولنا: المعلوماتُ تتدفقُ في عصرنا هذا. فجملة: تتدفق، جملة فعلية مبنية في محل رفع خبر، تقديره: متدفقةٌ. لجملة الاسمية المركبة لا محل لها من الإعراب، لأنها جملة ابتدائية. ومن الجمل التي لا محل لها من الإعراب قولنا: ما سمعنا بهذا الذي تقوله. فجملة "تقوله" صلة موصول لا محل لها من الإعراب، لعدم إمكانية تقديرها بمفرد[1].

وتنقسم الجملة في عرف النحاة إلى جملة كبرى وجملة صغرى. يقول السيوطي:« وتنقسم أَيْضا إِلَى الكُبْرَى وَالصُّغْرَى فالكبرى هِيَ الاسمية الَّتِي خَبَرَهَا جملَة نَحْو زيد قَامَ أَبوهُ وَزيد أَبوهُ قَائِم وَالصُّغْرَى هِيَ المبنية على المُبْتَدَأ »[2].

ومعنى قول السيوطي هذا، هو أنّ الجملة الفعلية لا تكون مركبة، إذ الاسمية هي الوحيدة الجملة المركّبة. وبمعنى آخر تكون الجملة الاسمية كبرى وصغرى، أما الفعلية فلا تكون إلاّ جملة صغرى[3].

- **مفهوم الجملة الفعلية:** هي الجملة المبدوءة بفعل بدءاً أصيلاً[4]؛ ي إنها الجملة التي لا تفقد فاعليتها حتى لو تغيّر موضع بعض عناصرها في السياق؛كقولنا: حفظَ الطالبُ سورةً قرآنيةً متوسطة الطولِ، أو: حفظ سورة قرآنية متوسطةَ الطولِ الطالبُ، أو: سورةً قرآنيةً متوسطةَ الطولِ حفظَ الطالبُ. إذ نلاحظ أنّ كل عنصر من عناصر الجملة الفعلية قد احتفظ بوظيفته النحوية؛ مع تغيير في المواضع التي يحتلها عادة كل عنصر في تركيب الجملة الأصلي.

وهي في واقع الأمر عبارة عن مسند وهو الفعل، ومسند إليه، وهو الفاعل، أو ما ينوب عنه. فالفعل يرد في الأزمنة الثلاثة، وأما الفاعل أو نائب الفاعل فيردان مرفوعيْن[5]؛ مثل: عاد المغتربُ - تنتقلُ العدوى بسرعة - قُضيَ الأمرُ - انتفعوا بما عندكم. ففي الجملة الأولى ورد الفعل ماضياً والفاعل اسماً مرفوعاً بضمة ظاهرة. وفي الجملة الثانية جاء الفعل مضارعاً والفاعل في محل رفع على الألف المقصورة. والجملة الثالثة فيها فعل أمر وفاعل ضمير مبني في محل رفع.

---

[1] - نعني بذلك أننا إذا أوّلنا صلة الموصول بمفرد، لا يستقيم معه التركيب العربي الفصيح، فلا يقال: ما سمعنا بالذي قائلُه، أو الذي قولُه.

[2] - السيوطي، همع الهوامع، ج1، ص 57.

[3] - الجملة الصغرى هي الجملة الواقعة خبراً للمبتدإ، أو خبراً للفعل الناقص، وهي بذلك جملة لها محل من الإعراب، إذ تكو في محل رفع بر للمبتدإ، أو في محل نصب خبر لاسم كان أو إحدى أخواتها، أو في محل رفع خبر لاسم إنّ أو إحدى أخواتها.

[4] - ينظر، عباس حسن، النحو الوافي، ج1، ص 466.

[5] - طبعاً، الضمة تظهر على الاسم المعرب المتمكن، أما الاسم المبني فيكون الفاعل فيه في محل رفع.

- **مواقع الجملة الفعلية:** نجد الجملة الفعلية تحتل كل مواضع الوظيفة النحوية تقريباً، فتكون في محل رفع ونصب وجر وجزم، كما قد لا يكون لها محل من الإعراب؛ أي ليس بالضرورة أن تكون في موضع واحد كما اعتاد التلاميذ والطلبة أن يفهموا ذلك[1]. ومن تلك المواقع ما يلي:

1 - في بداية الكلام؛ وتسمّى ابتدائية لا محل لها من الإعراب مثل: اقرأ باسم ربك.

2 - في موضع الخبر، مثل: العلم يرفع بيوت العز والشرف.

3 - في موضع المبتدأ، وتكون مصدراً مؤولاً في محل رفع مثل: وأن تصوموا خيرٌ لكم.

4 - في موضع الحال، مثل: أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً.

5 - في موضع الصفة، مثل: تناولنا طعاماً يقطر مرقاً.

6 - في موضع المفعول به: ظننتك تستلم للمشاكل (مفعول به ثان). قلت لك: جئتك بالحقيقة. (مقول قول).

7 - في موضع الفاعل[2]: وهنا تكون مصدراً مؤولاً في محل رفع: يجبُ أن تراعيَ نفسك؛ أي يجب مراعاةُ...

8 - في موضع الشرط وجوابه؛ الجازم وغير الجازم: ولولا إذْ دخلتَ جنّتك قلتَ ما شاء الله. إن يشأْ يذهبْكم ويأتِ بخلْق جديد.

9 - في موضع الاعتراض: فتكون جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب؛ الدينُ - أقول الحق - ضروريٌّ للناس.

10 - في موضع صلة الموصول: هذا هو الحل الذي أشرت لك به.

* **تطبيق:** حدد الجمل الفعلية مبيناً، إفادتها المعنى، وموقعها في السياق.

الأمثلة	الجملة الفعلية	إفادة المعنى	الموقع
خُلق الإنسان من عجل	خُلق الإنسان	تامة الإسناد والمعنى	ابتدائية
إذا جاء نصر الله			
الله خلقنا من نفس واحدة			
لا تتهاونوا في أمر الوباء			
من يزرع الشوك يجن الجراح			
ليت الشباب يعود يوماً			
يفعل الله ما يشاء			
عليكم أنْ تبقوا في بيوتكم			

[1] - سد بهذا القول أن الجمل الفعلية لا ترد منفصلة بعضها عن بعض، إنما كثيراً ما ترد في جمل مركبة، وفي سياقات طويلة نسبياً؛ كنصوص القرآن والحديث النبوي، والشعر والنثر جميعا. وما على الطالب إلاّ استخراج هذه الجمل من سياقاتها هذه.

[2] - المعروف عد النحاة أن الفاعل والمبتدأ لا يقعان جملة ولا شبه جملة، إنما يكونان مصدرين مؤولين. لكنهما من حيث الإسناد يمثلان جملة تامة، فيها فعل وفاعل، وهما شرطا الجملة الفعلية.